# تصورات إسلامية في وقت الحرب

الشيخ. محمد صالح المنجد

## النبذة:

أخبر عليه الصلاة والسلام عن أمور تقع تجعل الحليم حيراناً، وهذا ما وقع فيه الكثيرون من الغبش في الرؤيـــة، وعدم الوضوح في الأدلة والبصيرة، وفقدان البصيرة التي يجب أن تكون حاضرة عند المسلم في وقت الفتن، هناك أمور نحتاج إلى استحضارها من الكتاب والسنة إذا تلاطمت أمواج الفتن وعمت، هذه المعايير والثوابت والموازين المأخوذة من القرآن والسنة غابت عن عقول الكثيرين في هذه الأحداث.

## عناصر الخطبة:

- لنتذكر أحداث يوم القيامة.
- نتوكل على الله ونبذل السبب.
- احذر الشائعات.
- فلسطين والجهاد الحقيقي.
- نصائح هامة.
- عاقبة الصبر.
- أخوة الدين قبل كل شيء.
- أمور لابد أن نعلمها.
- معاني أسماء الله وأثرها.
- العودة إلى الله والعمل للدين.

## الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضـــل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} (سورة آل عمران:102).

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَـــثِيرًا وَنِسَـــاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} (سورة النساء:1).

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَـــن يُطِـــعْ اللَّـــهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} (سورة الأحزاب:70-71)، أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

**لنتذكر أحداث يوم القيامة:**

أيها المسلمون، إن في هذه الأحداث التي تجري امتحان من الله عز وجل لعباده لينظر كيف يعملون، فأما من اعتصم بالله ولجأ إلى ربه سبحانه وتعالى فإنه يكون قد نجح في هذا الامتحان، وأما من تقهقر ورجع، وتعلق بالمادة والدنيا، وظن أن النجاة من قبل البشر فإنه هالك وخائب وخاسر.

أيها المسلمون، لا بد ألا نغفل لحظة واحدة ونحن نعايش هذه الأحداث أن الله هو الذي قدرها منذ أن بدأت، وهو الذي يعلم وحده سبحانه وتعالى كيف تنتهي، ولا يعلم غيره عز وجل كيف تنتهي هذه الأحداث، وعلى ما تستقر الأمور، ولا يعلم غير الله من الذي يموت في هذه الحرب، ومن الذي يبقى على قيد الحياة، لا الذين خططوا لها، ولا الذين اشتركوا فيها، إنه فقط الله سبحانه وتعالى، لا تخفى عليه خافية: {إِنَّ اللّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء} (سورة آل عمران:5)، {وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (سورة البقرة:28)، وإن في بعض مشاهد هذه الأحداث ما يذكرنا وما يربطنا بالله كثيراً كثيراً، ويذكرنا باليوم الآخر وأهواله، وإن هذه الحرب مهما طالت وامتدت، ومهما اشتدت فإنها لا تقارن أبداً بأهوال يوم القيامة، وما يحدث في ذلك اليوم العظيم من الحشر والجمع، ودنو الشمس على قدر ميل من رؤوس الخلائق حتى يغرق بعضهم في عرقه.

إن هذه الأحداث لا تقارن أبداً بزلزلة الأرض زلزالها، وإن هذه الحرب لا تقارن أهوالها مطلقاً بقول الله مثلاً: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا} (سورة الحج:1-2).

أيها الإخوة، إنهم يتحدثون عن رج الأرض بالقنابل في هذه الحرب، ونحن نتذكر عندما نسمع هذا الخبر قول الله عز وجل: {إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا} (سورة الواقعة:4-5)، فليس رجاً في شبر، أو كيل، أو قدر من الأرض، وإنما ترج الأرض كلها.

أيها الإخوة، لعل بعضنا عندما سمع دوي هذه الانفجارات، وإطلاق هذه الصواريخ التي رأينا منها ارتجاجاً للجدران وللأبواب والبيوت، إن هذا الارتجاج ينبغي أن يذكرنا فعلاً بالرجة العظيمة يوم القيامة، ونحن لا ننكر أبداً، ولا نخفي أن هذه الرجة تسبب الخوف، ومن عاش هذه الانفجارات وهذه الصواريخ قد أحس بشيء من ذلك، وأقول لكم شيئاً عما داخَلَ نفسي: لقد كنت في بعض الأيام الماضية في مدينة الرياض، وقد دوى صوت انفجارين هائلين في الجو في يومين متواليين كان أحدهما أشد من الآخر، وفعلاً لقد رُجت الأبواب والشبابيك، وقد كسر زجاج بعض العمارات والبيوت، وعند ذلك فعلاً ينبغي أن تتجه الأنظار إلى ما في كتاب الله عز وجل لكي يعلم المسلم الأهوال الحقيقية مهما قيل عن أهوال هذه الحرب؛ فلا يجب أن يحجبنا لحظة عن أهوال ذلك اليوم العظيم.

وإن هذه الأخبار التي نسمعها يميناً وشمالاً ينبغي ألا تحجب عنا لحظة واحدة أن الله خلقنا لعبادته، وأن هناك جنة وناراً، وأن الخلق سينقسمون إلى قسمين {فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا} (سورة هود:105-108).

ينبغي ألا تشغلنا الأحداث عن العمل الحقيقي الذي أنيط بنا، وعن الهدف الذي خلقنا الله من أجله وهو عبادته سبحانه وتعالى، إن كثيراً من الناس قد شغلتهم الأحداث والأخبار عن العبادة، وعن الصلاة، وعن ذكر الله، وعن تربية الأولاد، وعن القيام بمصالح أهل البيت كثيراً كثيراً، ولكن المسلم العاقل يعلم علم اليقين بأن هذه الأحداث محنة وفتنة من الله عز وجل، وأنه لا ينبغي أن ينسى العبادة وذكر الله أبداً بل بالعكس أيها الإخوة.

أقول لكم: إن بعض هذه الصواريخ التي انفجرت وبحمد لله لم يحصل من أضرارها إلا القليل عندنا، أقول: إن فيها عبر، وإن فيها فوائد، فمثلاً: رجوع النفس إلى الله عند حصول الهزة، وعند حدوث الانفجار الذي يرعب النفس، المسلم يقول: ((أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق)) [رواه مسلم (2709)]، المسلم يقول: ((بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم)) [رواه الترمذي (3388)]، فينبغي أن ترجعنا هذه إلى الله؛ ولذلك هناك فرق كبير بين المسلم والكافر، فالمسلم إذا داهمه خطر لجأ إلى الله، واشتدت علاقته بالله، ولهج بذكره أكثر، وقد يكون في غفلة قبل حدوث الانفجار، وقبل حدوث الحادثة، وأما الكافر فإلى من يلجأ؟ ((الله مولانا ولا مولى لهم)) [رواه البخاري (3039)]، فرق كبير جداً، احمدوا الله على نعمة الإسلام، احمدوا الله على نعمة التوحيد أيها الإخوة، الله مولانا ولا مولى لهم، لنا مولى نلجأ إليه عند الشدائد، ولنا مولى نخاطبه وندعوه سبحانه وتعالى.

## نتوكل على الله ونبذل السبب:

ثم مسألة أخرى: بعض الناس حصل عندهم شرخ في التوحيد، عندما اعتقدوا أن هذه الصواريخ التي تعترض الصواريخ هي التي تحمينا من تلك الصواريخ المطلقة علينا، وظنوا بأن صاروخ الباتريوت هو الذي يحمي من دون الله، وهذا شرخ عظيم في التوحيد ينبغي أن يصحح، هذه الصواريخ المعترضة أسباب مادية ينبغي الأخذ بها، أسباب مادية للوقاية، أسباب دنيوية العاقل يأخذ بها، لكن أن يعتقد الإنسان أنها هي التي تحفظ، وهي التي تحمي ولولاها لهلكنا، هذه مصيبة كبيرة، وقد اعتقد ذلك بعض الناس مع الأسف، ويتبين ذلك من كلامهم تماماً.

هذه أسباب قد تصيب وقد تخطئ، العاقل يأخذ بها؛ لأننا مطالبون بالدفاع عن أنفسنا، لكن أن نعتقد أنها هي التي تنفع فقط، وعدم استخدامها هو الذي يضر من دون الله! هذا خطأ فاحش أيها الإخوة.

وقد تكلمنا مراراً في خطب ماضية عن مسألة الأسباب وعلاقتها بالتوكل على الله، وذكرنا بأن التوكل هو الأساس، وأن التوكل هو عمل القلب، والأخذ بالأسباب عمل الجوارح، عمل الأصابع والتوجيه والنظر، هذا عمل اليد عمل الجوارح، لكن التوكل في القلب وليس على هذه الأشياء، ليس على هذه الماديات، فينبغي أن ينتبه الناس.

ونقول لهم أيضاً: أيها الإخوة، إن هذه الأشياء المستعملة قد تصيب وقد تخطئ، وقد أخطأت، وربما لم تصب، وربما وقعت أشياء، وفي أمكنة أخرى رغم استخدام هذه الصواريخ، فإذن تلتجئون إلى من؟ وتعتصمون بمن؟ بالله سبحانه وتعالى فقط، هذه أسباب دنيوية تستخدم؛ لأن حكمة الله قدرت الأسباب ومسبباتها، فينبغي الأخذ بالأسباب التي تدفع لكن التعلق بالقلب، وهناك بعض الناس يقولون: لولا الله ثم هذه الصواريخ، ولا يقصدون، وقلوبهم فارغة من "لولا الله"، ومتعلقة بـ"ثم هذه الصواريخ"، مع أنهم يقولون عبارة صحيحة ومهمة، لا بد أن نقول: لولا الله ثم كذا حتى نحقق التوحيد، لكن ينبغي ألا يكون نطقاً باللسان فقط، كلمة" "ثم"، وإنما ينبغي أن يكون كلاماً مملوءاً به القلب صادراً عن جنان.

ثم لا ننسى أيها الإخوة أن هناك أسباب شرعية تدفع عن المسلمين، ما أدراك أن عدم سقوط هذا الصاروخ فوق رؤوسنا كان بسبب دعاء إنسان في المسجد، أو في بيته يدعو الله، ويقول: "اللهم احفظ المسلمين، اللهم ارفع عن المسلمين، اللهم اكشف البأس عنا وعن المسلمين"؟ ما أدراك أن الحماية، وأنه قدر لهذا أن يصيب هذا بدعاء ذلك الرجل الصالح في جوف بيته؟ {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا} (سورة الحج:38)، {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ} (سورة الزمر:36).

ثم لا ننسى أيضاً أن هذه الأشياء وإن قدر التحكم فيها من قبل البشر مائة بالمائة فلا يستطيعون التحكم في الشظايا، والشظايا قد تزل وتقتل؛ ولذلك لا تنسوا أبداً الدعاء لله بأن يحفظ، والدعاء لله بأن يمنع ويرفع البلى، وأن يكشف البأس عن جميع المسلمين.

أيها الإخوة، إن صفارات الإنذار التي تخلع الأفئدة إذا انطلقت، ويخاف المسلم مما سيقع فيها فوائد، فيه خير، لا تتصور أبداً أن أي شر يحدث في الدنيا هو شر محض أبداً، وإنما لا بد أن يكون فيه جوانب من الخير، لا بد أن يكون فيه جوانب من الخير، قد يجهلها الناس، قد يعرفون بعضها ولا يعرفون بعضها، والله هو الذي يعلم السر وأخفى، هذه قد جلبت أناساً إلى المسجد ما كانوا يأتون إلى المسجد، أليس كذلك؟ وأوقظت ناساً لصلاة الفجر ما كانوا يستيقظون لصلاة الفجر، وجعلت ناساً يصلون في الليل يقوم فزعاً لكن ما عنده ما يستطيع أن يفعله، فهو الآن مختبئ في بيته يترقب وينتظر.

ثم يتذكر حديثاً سمعه وهو أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا حزبه أمر صلى، فيقوم ويتوضأ، ويفزع إلى الصلاة، فإذن صار فيها بعض الفوائد من لجوء بعض العبيد إلى الله سبحانه وتعالى، وتيقظ بعض الغافلين ورجوعهم إلى ربهم عز وجل.

أيها الإخوة، لا بد أن تكون تصرفات المسلم حكيمة، ولا بد ألا يغفل المسلم عن استعمال عقله الذي وهبه الله له في اتخاذ الأسباب الشرعية، وأن يسأل المسلم ربه أن يلهمه رشده، اللهم ألهمنا رشدنا، وقنا شر أنفسنا؛ ولذلك فأنت تقول أحياناً: إنني جئت من هذا الطريق اتخذت سبباً، فتكتشف أنه ليس بسبب، وأنه لم ينفع، وقد تتخذ أسباب وهمية ولا تنفع، أو تتخذ أسباب حقيقية، ولا يقدر الله نفعها، فينبغي عدم الغفلة عن الله أبداً، واستخدام العقول، وأقول لكم بعض الأمثلة مما يفعله بعض العوام من الأشياء التي تنافي الحكمة، وتنافي العقل.

في اليوم التالي لحدوث انفجار في الجو من جراء ارتطام صاروخ بصاروخ قال لي أحد العاملين في المستشفى: لقد جاءنا عدد من الناس الذين أصيبوا بانهيارات عصبية، انهيار عصبي، قلبه ضعيف لا يحتمل هذا الموقف، ولا يقوي القلوب مثل ذكر الله عز وجل، فأحيوا قلوبكم بذكر ربكم سبحانه وتعالى: {أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} (سورة الرعد:28)، وذكر الله يمنع من الانهيارات العصبية، والأزمات النفسية التي تصيب ولا بد في مثل هذه الأمور بعض الناس.

وقال أيضاً: لقد جاء إلينا بعض الناس اثنان قد وضع كل واحد منهم بطانية على رأسه مرشوشة بالماء، مبلولة بالماء، أو منقوعة بالماء، وهي تتقاطر على الأرض؛ لأنه سمع مرة أن الغازات استعمل لها منشفة مبلولة، فوضع بطانية مغرقة بالماء في وقت ليس فيه حاجة إلى هذا الفعل، ثم قال: جئنا إليكم لنحتمي بكم في المستشفى، ونريد أن ننام عندكم في هذا، حتى لو حصل لنا شيء يكون العلاج قريب، في مثل هذه الحالة أيها الإخوة، إن هذا التصرف لا يدل على حكمة، ولا يدل على تعقل أبداً، بل إننا قد نجد في أماكن بعيدة عن الأحداث تماماً، وفي مدن سلمها الله من جميع المشكلات تجد بعض الناس قد عملوا هذه الاحتياطات التي لم ولا يتصور أن تخدمهم في وقت من الأوقات.

المسلم يتحسب؟ نعم، ويأخذ بالاحتياطات اللازمة؟ نعم، لكنه يكون على هدى مستبصر ومتعقل في استخدامه لهذه الأمور، أو رجل يقول: مجرد سمعت الانفجار لبست أولادي وزوجتي الكمامات كلهم من الصغير إلى الكبير ثم لبست الكمام، ثم لم أعد احتمل الانتظار فصعدت إلى سطح البيت لأرى ماذا يدور فوق، طيب هل جاء الوقت؟ هل سمعت إعلاناً من الجهات المسؤولة عن لبس الكمامات؟ فلماذا تجعل هذا الكتم على أنفاس أولادك بهذه الأشياء؟ والحمد لله إن كثيراً من الناس قد توعوا الآن في استخدام الأشياء في وقتها المناسب، ووقتها الصحيح، والمسلم لا بد أن يكون حكيماً، ولا بد أن يلتفت لمثل هذه الأسباب الشرعية في وقتها المناسب.

ونحن الآن –أيها الإخوة– لا ندري ماذا سيدور، وماذا سيتم في المستقبل، هل تتصعد الحرب أم تهدأ؟ هل تستخدم فيها أسلحة أشد فتكاً أو لا تستخدم؟ الله أعلم، ولكن عندنا الأسباب، ونتخذ الأسباب في وقتها الصحيح مع اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى، الناس الآن متخوفين يقولون: نخشى أن تُستخدم أسلحة كيماوية، نخشى أن يحصل كذا وكذا، نعم ممكن، ممكن يحصل أي شيء، لا ندري ماذا سيكون في المستقبل، فلا يعلم الغيب إلا الله، حتى أهل الحرب أنفسهم لا يعلمون جميع الأشياء المستقبلية، فلا يعلمها إلا الله، وهذا يدل الإخوان الذين قد أصيبوا بنوع من التبلد بعد حدوث الأحداث، وقالوا: خلاص صار في أمن الآن، قلت الصواريخ، فرجع بعضهم إلى اللعب، هل تصدقون أيها الإخوة أن بعض الشباب المتسكعين رجعوا إلى المغازلة في الشارع، في شارع من شوارع الأسواق في اليومين الماضيين، ولم يمض على حصول الأحداث فوق رؤوسنا إلى أيام قليلة؟! نرجع إلى المعاصي بهذه السهولة، مجرد أن هدأت بعض الأوضاع نسي الناس ربهم، ورجعوا إلى معاصيهم، كيف؟! هل يستقيم هذا في حس المسلم الجاد أنه يذكر ربه أحياناً، ثم يغفل عنه في أحيان كثيرة أخرى؟ ما مضى

شيء، بل ربما نتوقع أشياء نسأل الله أن يسلم، وهؤلاء لا يزالون يرجعون إلى المعاصي بسرعة فائقة وشديدة، اللهم اهد من كان ضالاً من المسلمين، وزد في هدى الهداة المهتدين.

احذر الشائعات:

أيها الإخوة، وينبغي أن يميز المسلم في الأخبار، وقد تكلمنا في موضوع الأخبار كثيراً، ولكن كثيراً من الناس لا يزالون ينقلون الشائعات، وكثير من الناس لا يزالون يعتمدون على الأخبار الوهمية، ويصدقون كل ما يقال، والذي لا يعرف ماذا يدور سيعتمد على مصادر الأخبار، ومع الأسف إن اليهود يسيطرون على كثير منها؛ ولذلك فلا بد أن يتلمس المسلم طريقه الصحيح في وسط هذا الخضم من الأخبار المتشابكة، وأقول لكم مثلاً من الأخبار المضحكة، هل تصدقون أنه في أحد الأخبار جاء خبر يقول: إن الصواريخ قد ضربت المكان الفلاني، ثم عادت إلى قواعدها سالمة، صواريخ تضرب ثم ترجع إلى قواعدها، فأين عقول هؤلاء الناس؟

أيها الإخوة، إن كثيراً من الثوابت في القرآن والسنة قد زالت عن الأذهان: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا} (سورة الحجرات:6) قد زال عن كثير من الأذهان، {وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ} (سورة النساء:83) غاب عن الأذهان، {إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا} (سورة النساء:101) غاب عن الأذهان، {وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء} (سورة النساء:89) غاب عن الأذهان، {لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء} (سورة الممتحنة:1) غاب عن الأذهان، أشياء كثيرة غابت عن الأذهان، ينبغي أن تعود هذه الثوابت وهذه القيم القرآنية والنبوية.

وأقول لكم أيضاً من ضمن ما أقول: إن بعض الكتب ككتاب روِّج له عن الدجال فيه ذكر لبعض الأشياء التي تحدث الآن مرتبطة بنصوص من التوراة والإنجيل، قد شاع هذا الكتاب وانتشر بين كثير من الناس، وصاروا يعتمدون عليه، ويقولون: حقاً إن في الكتب المقدسة السابقة أشياء من الأمور التي تقع الآن، مع أن هذه الأمور عبارة عن تطبيقات طبقت بعضها فوق بعضها، وليست من كتاب الله الذي نزل على موسى، ولا من كتاب الله الذي نزل على عيسى، وأحسن أحوالها إذا جاءت من عند أهل الكتاب ألا نصدق ولا نكذب، أما أن نأخذ ونعتمد ونقرر أن هذه الأشياء هي التي تحصل الآن، كتاب ينقل من الكتب السابقة المحرفة، ومن شروحها التي هي أشد تحريفاً، وبعض الناس يقرأ ويقول: نعم، واعجبي! إنما هو مكتوب الآن يحصل بالتفصيل! نعم إنهم يعلمون ما في الغيب، ثم تتسلى الأشياء إلى النفس خطيرة جداً؛ ولذلك أقول لهؤلاء الإخوان: لا تصدقوا هراء اليهود والنصارى، ولا تثقوا بهذه النقولات المنقولة في بعض الكتب عن كتبهم المقدسة مثلاً –أو المحرفة بعبارة أخرى– التي تؤكد أو تشير إلى شيء مما يحدث الآن، وإذا أردت شيئاً عن أشراط الساعة، أو عن فتنة الدجال فهناك كتب موثوقة بدلاً من أن ترجع إلى كتب لا تعتمد الأحاديث الصحيحة، وتعتمد النقل من أهل الكتاب، ومن تفسيراتهم للكتب التي جاءت بعد ذلك بقرون متطاولة، وإذا أردت مثالاً على ذلك: فخذ كتاب القيامة الصغرى للشيخ عمر الأشقر، أو كتاب أشراط الساعة للشيخ يوسف الوابل، فستغنيك مثلاً عن بعض الكتب التي ليس فيها أمور صحيحة.

وأقول لكم شيء آخر من الأشياء التي وجدتها في سفري، يقول هذا الكلام: "الرجوع إلى الله هو السبيل، عليكم بالأذكار التالية: يا لطيف، أربعة آلاف وأربعمائة وأربعة وأربعون مرة، {لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ} (سورة النجم:58) ألف ومائة وإحدى عشر مرة، بسم الله الرحمن الرحيم خمسة وخمسين مرة، إن هذا مجرب مائة في المائة لرفع البلاء، وقد جرب في الحروب والمصائب.." إلى آخر الكلام، "تتوضأ وتصلي ركعتين ثم تقول هذا"، وتوزع مع كل ورقة مسبحة لضبط العدد.

هل وصل الحال بنا أن تروج هذه البدعة بيننا؟ هذه أوقات شدة وخوف، والناس يعتمدون على أي شيء؟ أيها المسلمون، لا بد أن يكون عندكم موازين صحيحة وثوابت تعتمدون عليها، بدع لا نريد، خرافات لا نريد، ليس لها مجال عندنا، نحن المسلمون نعرف الأذكار الشرعية، ونعرف الأدعية الصحيحة، وإذا أردنا أن نذكر ربنا نعرف كيف نذكره، نعرف كيف نناجيه ونناديه، أليس من قلة الأدب أن تقول: يا لطيف يا لطيف، يا لطيف يا لطيف، يا لطيف يا لطيف، ثم تنتهي وتسكت؟ ما هو المقصود؟ ما هو المعنى إذن؟ لو قلت لفلان من الناس: يا سعيد يا سعيد، يا سعيد يا سعيد، يا سعيد يا سعيد، يا سعيد يا سعيد يا سعيد، وهو يقول: نعم نعم نعم، ماذا تريد؟ ثم تسكت، وهذه هي الأذكار الصوفية المنحرفة التي تشيع بين بعض الناس في هذه الأيام، يا لطيف يا لطيف، تقول: يا لطيف اللطف بي، يا لطيف احفظني، ممكن، لكن يا لطيف يا لطيف، هذا الذكر المجرد بهذا الاسم فقط ليس من أذكار أهل السنة أبداً، ولا قاله رسول الله، ولا تلفظ بهذه الأعداد مطلقاً، ولا سبح بمسبحة أبداً، وكان يعقد التسبيح بيمينه، فانتبهوا رحمكم الله لما قد يشيع وينتشر من الأمور التي تخالف الكتاب والسنة.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يكشف البلاء عنا وعن جميع المسلمين، وأن يحفظنا ويحفظ أهل السنة من الناس، اللهم إنا لجأنا إليك، وتوكلنا عليك في حفظ أنفسنا فاحفظها، وتوكلنا عليك في حفظ أولادنا وأموالنا ودورنا وأوطاننا فاحفظها يا رب العالمين، وقنا شر أنفسنا إنك على كل شيء قدير.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

## الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، هو الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وخلق السماوات والأرض، ورفع السماء بغير عمد، وبث في الأرض دوابا، وخلق فيها جبالاً رواسياً أن تميد بكم، وسخر لكم ما في الأرض جميعاً منه فضلاً وتكرماً ومنة سبحانه وتعالى، وصلى الله وسلم على نبينا محمد البشير النذير الذي دعا إلى الله سبحانه وتعالى، وبين لنا ما نُزِّل إلينا من ربنا، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

## فلسطين والجهاد الحقيقي:

أيها الإخوة، إن من الأمور التي ابتلت بها جماهير هذه الأمة، وفي هذا الزمان بالذات: أنها جماهير عاطفية تحركها العاطفة، ولا تعتمد على الأدلة من الكتاب والسنة؛ ولذلك فإنه يُضحك عليها بكل سهولة، وكل من تمسح بالإسلام يصدق من كثير من المسلمين في هذا الزمان.

أيها الإخوة، إن كثيراً من الخداع والتضليل يمارس بشتى الوسائل على مسامع أفراد هذه الأمة التي ضل فيها كثير من الناس.

أيها المسلمون، نحن نعلم من الذي ينتصر بإذن الله سبحانه وتعالى، ونعلم معنى الجهاد الحقيقي، ونعلم راية الإسلام إذا رُفعت أن هذه راية الإسلام، ونعلم أن القائد الذي يقود الأمة إلى النصر في الجهاد نعلم صفاته ونعلم أحواله، إننا لا يصح أن نكون مغفلين، وكل من قام ينادي بالإسلام اتبعناه قبل أن يتخلى عن أفكاره الضالة، أو يتوب منها.

أيها الإخوة، لقد كثر الكلام عن تحرير فلسطين، ولا بد أن يكون لدينا خلفية شرعية واضحة عن هذا الأمر، وهذه قضية طويلة، لكننا نجتزئ ونختصر منها.

أيها المسلمون، إن تحرير فلسطين واجب شرعي؛ لأنها أرض إسلامية، فيها من مساجدنا ومقدساتنا ومواطن نزول النبوات من قبلنا، وحياة أنبياء عظام، وجدوا من قبل في الخليقة قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، أُسري به إلى ذلك المكان، فأمهم وصلى بهم، ولا بد أن تكون الجذوة المحترقة في النفس المتولدة لتحرير ذلك المكان من اليهود في نفس كل مسلم.

لكن أيها الناس، أيها المسلمون، من الذي سيحرر ذلك المكان؟ وما هي صفات القائد الذي سيفتح تلك البلاد؟ وما هي صفات الجيش الذي سيحارب اليهود؟ هذه القضية المهمة التي جهل فحواها كثير من المسلمين، من الذي فتح القدس عبر التاريخ؟ قل لي وسائل كتب التاريخ لتأتيك الأسطر من بين الصحائف، وتقول: إن الذي فتحها في العهد الإسلامي الأول عمر وأبو عبيدة، قاد الجيش أبو عبيدة ليفتح البلد فاشترط عليه القساوسة حضور الخليفة، فجاء عمر بثوب مرقع يركب دابة، يخوض في الوحل متواضعاً لرب العالمين، فتم الفتح على يديه، ثم احتلت مرة أخرى عبر التاريخ، فجاء صلاح الدين الأيوبي الرجل المسلم الذي وهب نفسه لله، وباع حياته في سبيل الله، فجيش الجيوش، ونظف المنطقة من الباطنية والكفرة، وألَّف بين قلوب الأمة وبين الدول المجتمعة، فصهرها في جيش واحد، فقام معه العلماء –علماء أهل السنة–، فجاهد النصارى، وفتح بيت المقدس، إنه جيش إسلامي بقائد إسلامي؛ لأنه لم يعد ينفع شيء ليحرك الناس إلا الإسلام، وهذا يثبت مدى تغلغل هذا الدين في قلوب الناس، نسأل الله المزيد من فضله، وأن يكشف ويبين لنا هؤلاء الناس المزيفين الذين يحاولون الوصول إلى مآربهم الخاصة، ويضيعون الأمة باسم الدين، وباسم الإسلام.

**نصائح هامة:**

وأقول أيضاً نقطتين أخيرتين ولو أنني قد أطلت عليكم في الكلام ولكن هناك مسألة مهمة وهي حفظ الأمن، واجب إسلامي، في كل بلد مسلم ينبغي أن يُحفظ الأمن؛ لأنه إذا اختل الأمن –أيها الإخوة– فمن المتضرر؟ أنت وأنا وهو، بيتي وبيتك وبيته، أهلي وأهلك وأهله، بناتنا وأولادنا وأموالنا، فإذن لا بد أن نحافظ على الأمن، هو مطلب شرعي، وأن نحارب كل اختلال يحدث فيه في أي مكان، وأن ندعو بحفظ أمن المسلمين في كل بلد للإسلام، وفي كل مكان فيه مسلمون، فالكل سواء، ولا تمييز لأحد على أحد، ولا قيمة لروح مسلم على آخر،

كلكم لآدم، ((وآدم من تراب)) [رواه الترمذي (3956)]؛ ولذلك فإن المسلم مكلف الآن باليقظة والبصيرة أكثر من أي وقت مضى، ولعل خلو بعض البيوت من أهلها قد يشجع لصوصاً أو مجرمين أو أو، ونحو ذلك من أصحاب المآرب الخبيثة، فينبغي أن تنتبهوا رحمكم الله لبيوتكم، وبيوت جيرانكم، وأهليكم وشوارعكم، وأن تساهموا في حفظ الأمن لأنه شيء ينفع الإسلام، وينفع الدعوة، وليس من مصلحة أي مسلم وأي داعية حدوث الاختلال في الأمن، ليس من مصلحة أي أحد مسلم صادق حدوث الاختلال في الأمن، هذا شيء واضح جداً، ولذلك نؤكد عليه من منطلق شرعي، لله نقول هذا الكلام.

ثانياً: إن بعض أهالي الناس الذين سافروا كبعض أهالي العسكريين الذين يحتاجون إلى رعاية، هؤلاء الأهالي ربما لا يجد بعضهم من يشتري لهم أغراضاً، أو يقوم بشئونهم، أو يرعاهم، فهنا يكون حق الجار، وحق المسلم على المسلم، ومن الحقوق أن ندعو لإخواننا المسلمين أن يحفظهم الله، والله –أيها الإخوة– إن قلوبنا تتفطر من أي أذى يلحق بواحد من أهل السنة في العالم كله، إذا لحق بأذى بواحد من أهل السنة من المسلمين الموحدين أذى فإنه يضايقنا جميعاً؛ ولذلك نرفع أيدينا، وندعو الله سبحانه وتعالى في قنوتنا، في صلواتنا، في سجودنا أن يحفظ الله المسلمين.

خطبة أخرى:

عاقبة الصبر: 34:51

أيها المسلمون، إن في هذه الأحداث العظام عبراً، وإن فيما يدور من الأمور تمحيص للمؤمنين وزيادة في إيمان الطائعين المخبتين، وزيادة في يقين المستبصرين الذين يعرفون سبيل الله المستقيم.

إن هذه الأمة أمة مرحومة جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء وفتنة، ونحن من أواخر الأمة، وهذا من الابتلاءات والفتن التي أخبرنا صلى الله عليه وسلم أنها ستقع في هذه الأمة، وقال: ((ويل للعرب من شر قد اقترب)) [رواه البخاري (3346)، ومسلم (2880)]، وقال: ((تكون بين يدي الساعة فتن كقطع الليل المظلم)) [رواه الترمذي (2197)]، وأخبر عليه الصلاة والسلام عن أمور تقع تجعل الحليم حيراناً، وهذا ما وقع فيه الكثيرون من الغبش في الرؤية، وعدم الوضوح في الأدلة والبصيرة، وفقدان البصيرة التي يجب أن تكون حاضرة عند المسلم في وقت الفتن، هناك أمور نحتاج إلى استحضارها من الكتاب والسنة إذا تلاطمت أمواج الفتن وعمت، وإذا اضطربت الأمور وادلهمت، هذه المعايير والثوابت والموازين المأخوذة من القرآن والسنة غابت عن عقول الكثيرين في هذه الأحداث.

أيها المسلمون، ألم يقل رسولكم صلى الله عليه وسلم: ((تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه)) [رواه الموطأ (1661)]، فلماذا نذهب بعيداً في القراءات الخارجية عن القرآن والسنة، والأخبار والتحليلات، وكلام الكفرة والمنافقين، وننسى الكتاب والسنة، وننسى الأصول الأصيلة التي هي الثقلان من تمسك بهما لن يضل أبداً الكتاب والسنة.

أيها المسلمون، ألم يقل ربنا في محكم تنزيله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} (سورة البقرة:153)؟ ألم يقل الله: {اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} (سورة الأعراف:128)؟

أيها الإخوة، إن كثيراً من المسلمين لما رأوا هذه الأحداث والفتن يئسوا من انتصار الإسلام، وقالوا في أنفسهم: لن تقوم قائمة الدين أبداً، وهذا التفرق الداخلي يعبث في صفوف الأمة، وهذه الكثرة الكاثرة المتكاثرة من أعداء الدين التي تسعى للتخريب ظنوا أنه لن تقوم قائمة للإسلام أبداً، ونحن نقول أيها المسلمون: عندنا أحاديث صحيحة، ونصوص متينة مكينة لا يتطرق إليها الشك لا في قائلها، ولا في خبرها، فما هو أثرها النفسي علينا نحن المسلمين الذين نكتوي بنار هذه الفتنة، ونضطرم في أوراها؟ قال صلى الله عليه وسلم مبشراً: ((بشر هذه الأمة بالسناء والدين، والرفعة والنصر والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا)) رياءً ((لم يكن له في الآخرة من نصيب)) [رواه أحمد (20716)]، ((بشر هذه الأمة بالسناء والدين، والرفعة والنصر والتمكين))، فهذه بشارته صلى الله عليه وسلم حق على الحقيقة، وأمر ثابت لا مجال للطعن فيه، إنه يعبر عن قول الله عز وجل: {وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} (سورة الصف:8).

أيها المسلمون، إن إتمام النور، وإعلاء الدين أمر تكفل الله به، ووعد بحدوثه، وأنه لا بد منه؛ ولذلك فإن خيوط الأمل وأنوار الأمل في أنفسنا لا زالت قائمة بحمد الله من جراء تتبع هذه النصوص ومعرفتها، ولو كان الواقع مؤلماً، ولو كان الواقع سيئاً، ولو كان الواقع ينبئ ويخبر ويظهر التفرق الشنيع في صفوف هذه الأمة أفراداً وشعوباً ودولاً، ولكننا نقول: إن هناك مبشرات تخبر أيضاً بأن هناك طائفة من هذه الأمة لا تزال ظاهرة على الدين، كما قال صلى الله عليه وسلم: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق)) [رواه مسلم (1920)]، وفي رواية: ((قوامة على أمر الله)) [رواه ابن ماجه (7)]، وفي رواية: ((منصورين)) [رواه الترمذي (2192)]، وفي رواية: ((يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة)) [رواه مسلم (1923)] ((لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك)) [رواه البخاري (3641)]، وفي رواية: ((وهم ظاهرون على الناس)) [رواه مسلم (1037)]، وقال عليه الصلاة والسلام: ((لا يزال هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين)) مجموعة ((حتى تقوم الساعة)) [رواه أحمد (20426)]، إذن لا يزال الدين قائماً فلا يمكن أن ينطفئ نور هذا الدين مهما حصل، مهما حصل من التفرق الداخلي، ومهما حصل من التكالب الخارجي لا يمكن أن ينطفئ نور الدين أبداً، ولا تزال طائفة من هذه الأمة قائمة بأمر الله تعرف الحق، وتبطل الباطل، وترد كيد أهل الكفر والنفاق، ظاهرين بالحجة دائماً، وبالسلاح أحياناً على أعداء الله، حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال، فإذا كان رسولك يقول لك: ((لا يزال هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة))، فلماذا إذن مشاعر الإحباط واليأس التي تدخل النفوس؟

أيها الإخوة، يقول الناس: إننا لم نر فتنة ولم نسمع بفتنة مرت بالمسلمين كالتي حصلت الآن، وهذا لا يستبعد أن يكون أمراً صحيحاً، لا يستبعد أن يكون ما يحصل الآن هو أسوأ فتنة مرت بالمسلمين، ولكن لا بد أن نتذكر

الوقائع التاريخية السابقة التي حصلت في هذه الأمة، وننظر هل ضاع الدين فيها وبعدها أم لا؟ من قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة، قاموا عليه، حاربوه، اضطهدوه، وقتلوا بعض أتباعه، وسجنوا بعضهم، وحاصروهم حتى جاعوا وأكلوا أوراق الشجر، فهل مات الدين؟.

قُتل عمار، قُتل ياسر وزوجه ومجموعة من المستضعفين، هل مات الدين؟ كلا، انتقل عليه الصلاة والسلام إلى المدينة، قُوتل المسلمون في أحد وانهزموا، ومات من خيارهم سبعون رجلاً أسد الله، وأسد رسوله حمزة، والداعية المجاهد مصعب وغيرهم، فهل انطفأ نور الدين؟ كلا.

وتجمع الأحزاب حول المدينة من كل قبيلة من المشركين جاءوا وحاصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين، فهل انطفأ الدين؟ ولما خان اليهود من الخلف بنو قريظة لم ينطفئ الدين، وبعد وفاته عليه الصلاة والسلام ارتد أكثر العرب، ولم يبق من ديار المسلمين إلا مكة والمدينة وأحياء قليلة متبعثرة، فهل انطفأ نور الدين؟ كلا، رجع الدين قوياً، وفتح المسلمون بلاداً جديداً، وقامت الفتنة بين خيار هذه الأمة، فهل انطفأ الدين؟ كلا، رجع مرة أخرى وانتشر.

مرت فتنة بالمسلمين من قيام دولة الرفض الدولة الفاطمية التي هيمنت على أجزاء من العالم الإسلامي، وقُتِّل علماء أهل السنة كثيراً كثيراً، وشيدت القباب والأضرحة لإضلال الأمة، ونشر الشرك فيها في الدولة الفاطمية في السابق، وعُملت بدعة المولد، ونشرت فيها، هل انطفأ الدين؟ كلا، لقد زالت دولة أهل الكفر والخيانة، ورجع الإسلام مرة أخرى.

قاد هولاكو وغيره من التتر السفاحين السفاكين الحملات على بلاد المسلمين، وقتل من المسلمين ملايين، ذبحاً وطعناً وتشريداً في الأرض، وقتل منهم من الجوع والخوف والتيه ناس كثيرون، وذكر أهل التاريخ في ذلك الوقت أنه لم يمر بالمسلمين فتنة أكبر منها، القتلى بالملايين، بالملايين بدون مبالغة، فهل انطفأ نور الدين؟ كلا، عاد الدين مرة أخرى، وحصل للمسلمين في بلاد الأندلس من مجازر محاكم التفتيش التي كانت تبحث عن كل شيء يُدين شخصاً بالإسلام لكي يمحوه، ويزيلوه عن ظاهر الأرض، وآلات الطحن والعجن في الأجساد قامت، مجازر في بلاد الأندلس لكن ما أن ضعف الدين في ذلك المكان إلا وانتشر في الشرق ضعف شيئاً في الغرب في الأندلس فامتد في الشرق بفتح الهند على يد السلطان محمود الغزنوي رحمة الله عليه، كما قال عليه الصلاة والسلام، وأخبر عن عصابتين من أمته من أخير هذه الأمة: عصابة تغزو الهند، وعصابة تقاتل الدجال مع المسيح بن مريم، وانتشر المسلمون، وعمَّر الإسلام الهند قروناً مديدة، وأزماناً عديدة، ولم ينطفئ نور الدين.

وفي هذا العصر قامت مجازر للمسلمين في الفلبين وكشمير وغيرها، وقتل أكثر من مليون مسلم في الجزائر يقاومون استعمار الكفار، وقرابة مليوني مسلم في أفغانستان، وأحرق العلماء في الصومال... إلى آخره من المجازر الكثيرة، فهل انطفأ نور الدين؟ كلا، ولا يزال المسلمون والإسلام باقون على الأرض؛ لأن الله أنزل هذا الدين ليبقى ولم ينزله ليضمحل، والله الذي لا إله إلا هو لو أن ديناً غير هذا الدين تعرض لمثل ما تعرض له هذا الدين من المحاربة لزال منذ زمن قديم جداً.

لا يوجد أمة امتحنت مثل أمة الإسلام، ونكبت وتعرضت لأنواع الصدمات مثل أمة الإسلام، وهذه صدمة، وهذه فتنة كبيرة قد تكون أكبر من الفتن الماضية، ولكن الإسلام أقوى، والدين أعز من أن يزول، والله غالب على أمره، والله يقدر الأحداث، ويسير الأمور، ويصرفها بحكمته لأمور يريدها عز وجل، فما هو موقفنا نحن المسلمين؟ ماذا فعلنا أيها الإخوة لكي نبقى من هذه الطائفة المنصورة التي تقاتل لأجل هذا الدين؟ هذه مسألة ينبغي أن تستقر في أذهاننا تماماً.

أيها المسلمون، طال ليلنا، ونرقب الفجر، فجر نصر الإسلام، ولكن متى ينتصر الإسلام؟ عندما تتغير نفوس هذه الأمة، هذه الأمة ابتعثها الله لتقود البشرية: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} (سورة آل عمران:110)، نحن خير أمم أهل الأرض ولا شك في ذلك، ونحن المرشحون والمهيأون لقيادة البشرية كما قدناها في السابق قروناً طويلة جداً بفضل هذا المنهج وهذا الدين الذي أنعم الله به علينا، نحن المفروض أن نكون القادة، نحن نقود الناس، نقود العالم، لكن هل يمكن أن نقود البشرية وصفوفنا متقطعة متناحرة متخالفة من داخلها؟ هل يمكن أن نقود الأمة ولا زال هناك ألوان من الشرك موجودة فينا؟ هل يمكن أن نقود الأمة ومعالم مهمة من معالم العقيدة كعقيدة الولاء والبراء –الولاء للإسلام وأهله والبراء من الشرك وأهله– لا تزال مثل هذه المعالم مفقودة؟ لا يمكن أن نقود ونحن بهذه الحالة، فلا بد أن يحدث التغيير فينا في أنفسنا حتى نعود إلى الصراط السوي فنستلم القيادة، ولا شك أن هذا اليوم سيأتي ولا بد، ولا بد أن يأتي أيها الإخوة، فسيبلغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار، من الذي قاله؟ محمد صلى الله عليه وسلم، في الحديث الصحيح فلا بد أن يحدث، وإنا لمنتظرون: {وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ} (سورة ص:88).

### أخوة الدين قبل كل شيء: 53:37

أيها الإخوة، نحن مسلمون متآخون بأمر الله عز وجل، وهذه القضية الثانية المهمة التي ينبغي ألا تغيب عن أذهاننا في هذا الوقت العصيب، نحن أمة واحدة، نحن أبناء دين واحد، نحن الذين قال الله فيهم: {وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} (سورة آل عمران:103) المفروض أن نكون مثل هؤلاء، {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} (سورة الحجرات:10)؛ ولذلك فإن التآخي الأخوة الإسلامية هي التي تقطع على الأعداء السبيل لتفريق هذه الأمة وأكلها جزءاً جزءاً، ونحن اليوم نشهد تناحراً وتفرقاً كبيراً جداً ما مر مثله بين المسلمين، فماذا فعلنا لإزالة هذه العداوة والبغضاء من جسد هذه الأمة الواحد؟

أيها المسلمون، ألم يقل رسولنا صلى الله عليه وسلم: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)) [رواه البخاري (481)]؟ ألم يقل رسولكم عليه الصلاة والسلام: ((المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)) [رواه مسلم (2586)]، وفي رواية: ((إن اشتكى رأسه اشتكى كله، وإن اشتكى عينه اشتكى كله)) [رواه أحمد (17926)]؟ ألم يقل رسولنا عليه الصلاة والسلام: ((المسلم أخو المسلم لا يظلمه)) ولو بكلمة ((ولا يسلمه إلا عدو، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله)) [رواه مسلم (2580)]؟

أرونا إذن هذه الأخوة وحقوقها وواجباتها التي أمر الله بها، أرونا هي، ودعوا التفرق جانباً، ودعوا التنابذ والحسد والحقد والبغض، دعوا الغل، دعوا كل شيء يفرق صفوفكم.

أيها المسلمون، مهما اختلفت ألسنتنا، واختلفت شعوبنا، واختلفت قبائلنا، وتناءت بلداننا وديارنا فنحن أمة واحدة، هذه حقيقة ضاعت الآن، وغفل عنها جمهور عظيم من المسلمين، وصارت الاختلافات الحادثة في العالم الإسلامي تنعكس على رجل الشارع، وصار المسلم يشتم أخاه المسلم، وصار المسلم يعادي أخاه المسلم.

أيها المسلمون، لئن سعى الطغاة وكان السبب في تفريقهم طغاة عملوا هذا التفريق لكن نحن الناس لا ننخدع بهذا، ولا يصح أن تنتقل الخلافات إلينا نحن المسلمين، ونرى انعكاس الخلاف على رجل الشارع، وفي السوق والمدرسة، كلا كلا، رحمكم الله أنتم المسلمون أمة واحدة، لا يظلم مسلم مسلماً، لا يخذله، لا يسلمه، لا يعتدي عليه، وإذا اتحد المسلمون انتصروا، وإذا تفرقوا فلا يزالون في شر وهزيمة.

أيها الإخوة، لا بد أن يقال للمذنب: أنت أذنبت، ويُبين خطؤه، هذا منهج إسلامي، لا بد أن يقال للمذنب ويحكم على المذنب بأنه مذنب، والبريء لا يؤاخذ بجريرة المذنب: {وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} (سورة الأنعام:**164**)، ونحن إخوة، حقوقنا فيما بيننا، التناصر والولاء، نحن أبناء دين واحد، لا يصلح أن تصل الشقاقات والفرقة بيننا إلى الدرجة التي يسخر منا فيها أعداء الإسلام.

أيها المسلمون، إن الوضع يُدمي القلب، ويحزن الفؤاد، ويبكي العين، ولكن نحن نملك أن نفعل شيئاً، إذا قمنا برص الصفوف، وإذا قمنا بالامتناع عن الظلم، وإذا قمنا بمعرفة العدو وتشخيصه يمكن أن يرتفع عنا الذل، وما دمنا متفرقين فستضرب علينا الذلة كما ضربت على بني إسرائيل.

أيها الإخوة، نحن جسد واحد يتألم بعضنا لبعض، ويشعر بعضنا بمشاعر بعض، هكذا ينبغي أن نكون.

أيها المسلمون، إذا كنا قد لا نرى نصر الدين في هذا الجيل فإنه سيأتي في الأجيال المقبلة، وقد نموت نحن ولم نر بعد نصرة هذا الدين، فإذا كان ذلك سيحدث فلتأتنا منيتنا ونحن نؤمن بالله واليوم الآخر.

أيها المسلمون، لا تتعجلوا الأمور، فإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون، {وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ} (سورة آل عمران:**140**)، {وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} (سورة يوسف:**21**)، إذا كنا سنموت قبل أن نرى نصر الدين وهيمنته على الأرض فلنمت على عقيدة صحيحة، ولنمت على أخوة سليمة.

أيها المسلمون، هناك كثير من الملاحظات والإجابات التي أستعرض وإياكم في عجالة بعضها: لا بد أن تكون عودتنا إلى الله ولجوؤنا في وقت الشدة إلى الله، وإنني لا أزال أنبه وأكرر على الإخوة الذين عكفوا على الأخبار ومصادرها، ولا يذكرون الله إلا قليلاً، وإذا صار شيئاً فزع إلى الأخبار، لا بأس أن تعرف الخبر، ولكن العكوف عليه الساعات الطويلة، هل تصدقون أن بعض العجائز عندنا يتابعون السي إن إن، ولا يعرفون اللغة الإنجليزية، وليس هناك من يترجم لهم، نقول: لماذا؟ يقولون: نتفرج على الصور.

أيها المسلمون، لا بد إذا حدث أمر أن نفزع إلى الله، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى.

أيها المسلمون، لا بد ألا نغفل عن سنن الله الكونية، من سنن الله الكونية: {وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ} (سورة النحل:112)، من سنن الله الكونية: {وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ} (سورة آل عمران:140)، ومن سنن الله الكونية: {وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} (سورة الأنعام:129)، فيأتي ظالم فيظلم؛ فيسلط الله عليه بعد حين ظالماً أظلم منه فيظلمه، فلا يلبث أن يخرج ظالماً أظلم منه فيظلمه، وهكذا وهكذا، حتى يأذن الله بخروج هذا الدين: {وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} (سورة الأنعام:129).

أمور لابد أن نعلمها:

أيها الإخوة، يسأل بعض الناس فيقول: إن هذه الصواريخ وهذه القذائف قد تحدث قتلى، وتحدث أضرار وجرحى، فما حكم هؤلاء القتلى؟

فنقول: الشهداء سبعة، يجيبكم عن هذا السؤال رسولكم صلى الله عليه وسلم: ((الشهداء سبعة سوى القتل في سبيل الله: المطعون شهيد)) مرض الطاعون، ((والغَرِق شهيد)) الذي يموت غريقاً، ((وصاحب ذات الجنب شهيد)) مرض ورم في الغشاء المستبطن للأضلاع، ((والمبطون شهيد)) الذي يموت بداء البطن، ((والحَرِق شهيد)) الذي يموت محترقاً، ((والذي يموت تحت الهدم شهيد)) الذي ينهدم عليه البناء، ((والمرأة التي تموت بِجُمْع شهيدة)) [رواه مالك (552)] يعني تموت وولدها في بطنها، هؤلاء أصناف من الشهداء عدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن يجب أن يكون مسلماً موحداً حتى يأخذ أجر هذه الشهادة، والشهادة مراتب: فمن قتل في سبيل الله لإعلاء كلمة الله في المعركة مقبلاً غير مدبر هذا أعلى أنواع الشهداء، وهذا يدفن بثيابه، ويستحب الصلاة عليه ولا يجب، وأما الشهيد من شهداء الدنيا مثل المحترق، والمنهدم عليه بيته، والذي أصيب بمرض الطاعون أو غيره، أو مات محترقاً، أو غريقاً، فإنه يغسل قدر الإمكان، ويكفن، ويصلى عليه وجوباً ويدفن، فإذا كان موحداً نال شيئاً من الشهادة كما أخبر عليه الصلاة والسلام، شهادة من نوع مخصوص به تختلف عن شهادة قتيل المعركة في سبيل الله.

ومن أنواع الشهداء قوله عليه الصلاة والسلام: ((من قتل دون ماله فهو شهيد)) مظلوم اعتدي عليه، أريد أخذ ماله فهو شهيد، ((ومن قتل دون أهله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه)) وهذا الأساس ((فهو شهيد، ومن قتل دون دمه)) يدافع عن نفسه ((فهو شهيد)) [رواه النسائي (4095)] إذا كان مسلماً موحداً، وهذه الأحاديث تجيب على كثير من الأسئلة.

أيها الإخوة، لفت النظر ما نراه من تعليق كثير من إخواننا وغيرهم لهذه أقنعة الغاز التي يمشون بها في الشوارع، وإنني أستعجب فأقول: لماذا يعلق العجم هذه الأقنعة بينما لا نرى العرب يعلقونها؟

وأقول مشيراً إلى مسألة مهمة: لعلنا لم نشرح لهؤلاء العجم العقيدة الصحيحة في التوكل والأخذ بالأسباب، بل رب أن بعض أرباب الأعمال يقولون لمكفوليهم من العمال، عندما يقول العمال: نريد أن نسافر نخشى الموت، فيقول: لا؛ معك القناع، خذ القناع، فنحن مسئولون عن هؤلاء الناس، وإنني أقول عندما أرى بعض هؤلاء

يدور في بالي سؤال، فأقول وهم يمشون في الشارع مبتأبطين هذه الأقنعة: لو أن إنسان مر وخطف هذا القناع ماذا سيكون حال هذا الشخص؟ كأني به سيسقط في يده تماماً، وهذه مسألة متعلقة بالعقيدة، بيانها واجب علينا، نقول: خذ الأسباب، واحمل القناع بالسيارة على الكتف افعل ما تشاء، لكن لا يجوز أن يتعلق قلبك به، هذا سبب جوارح سبب دنيوي، وإنما النفع والضر من الله عز وجل، مسألة شرحناها في الخطب لنا نحن، نتكلم اللسان العربي لكن هؤلاء الناس أيضاً ملاحظة هذه تلاحظونها في جميع الأماكن تقريباً واجب علينا نحن المسلمين الذي نعرف هذه المسألة.

أيها الإخوة، إن هذه العطلة بالنسبة للطلاب قد طالت الآن مع هذه الظروف الجديدة، فماذا عساهم سيفعلون فيها؟ كثير من الناس الآن عندهم أوقات فراغ، عندهم عطل، حتى أصحاب الدكاكين والمحلات نشاطهم التجاري أخف من قبل، والناس الذين عندهم إجازات أو المرتبطين بالمدارس والجامعات، هؤلاء الآن عندهم وقت حصل وحدث ولم يكن مقدراً في الحسبان ولا متوقعاً، فينبغي أن يُستغل هذا الوقت في طاعة الله، ينبغي أن يستغل هذا الوقت في تثبيت الناس، في الدعوة إلى الله، في طلب العلم، في التربية على الدين والإيمان، وفي انتهاز هذه الفرص لإعداد النفس بجميع أنواع الإعداد حتى تكون نفساً مسلمة متهيئة، ولا تضيع هذه الأيام سدى، إذا كان ليس علينا شيء من الواجبات والمتطلبات الآن فلا بد أن ننتهز هذه العطلة فيما يرضي الله، أو هذه الإجازة في مهمات عظيمة تنتظرنا، ونحن في مرحلة الإعداد، ونحن في مرحلة التهيؤ.

## خطبة أخرى:

## معاني أسماء الله وأثرها:

إخواني، يقول الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: {وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ} (سورة الأعراف:180) ذروهم واتركوهم لأنهم سيجزون ما كانوا يعملون.

أيها الإخوة، إن أسماء الله سبحانه وصفاته من المواضيع العظيمة التي ينبغي للمسلم أن يدرسها ويتمعن فيها؛ لأن معرفة أسماء الله سبحانه وتعالى تورث إيماناً ويقيناً، وأسماء الله ذات معان لها أثر في الواقع، أسماء الله لها ارتباط عظيم جداً بما يحدث على هذه الأرض.

أيها الإخوة، لا بد ونحن في غمرة هذه الأحداث ألا ننسى ربنا عز وجل بأسمائه وصفاته، ألا ننسى اسمه مثلاً القاهر، ألا ننسى أنه القاهر سبحانه وتعالى، وإن بطش الباطشون، وتجبر المتجبرون، فإن الله سبحانه هو القاهر فوقهم كما قال: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} (سورة الأنعام:18) لا ننسى أبداً وإن رأينا اتساع أملاك الخلق، وعظم غنى الأغنياء منهم أن الله هو الغني، ولا ننسى أبداً إذا رأينا قوة مخلوق أن الله هو القوي، ولا ننسى أبداً إذا رأينا صاحب وظيفة أو شركة أن الله هو الرزاق الذي يرزق هؤلاء الناس المتسببين والموظفين، ولا ننسى أبداً بأن الله سبحانه وتعالى يصرف الأمور.

أيها المسلمون، إن الله القاهر القهار خضعت له الرقاب، وذلت له الجبابرة، وعنت له الوجوه، واستكانت له المخلوقات، وتضاءلت بين يديه وتحت قهره وحكمه، قهر الجبابرة والخلق كلهم الناس متضائلون بين يدي الله، لا

يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلاً، والله قهر الجبابرة كلهم، وقهر الخلق أجمعين بالموت الذي لا يستطيع أحد أن يرده عن نفسه مهما كان عظيماً، ومهما كان رئيساً، ومهما كان جباراً في الأرض، فإن نهايته إلى الله، وهو بيد الله يصرفه كيف يشاء، هو القهار الذي طاحت عند صولته صولة المخلوقين، وبادت عند سطوته قوة الخلائق أجمعين، والله عز وجل هو الجبار الذي قهر الجبابرة بجبروته وعلاهم بعظمته، لا يجري عليه حكم حاكم بل يجري حكمه على جميع الناس أجمعين، والخلق مقهورون أمام الله، والواحد منهم تؤذيه البقة، وتأكله الدودة، وتشوشه الذبابة، أسير جوعه، وصريع شبعه، فأين هم بين يدي الله؟ وماذا يكونون بالنسبة إلى الله عز وجل؟.

أيها المسلمون، مهما كان لدى الخلق من قوة، ومهما كان لديهم من سلاح، فإن الله خلقهم وما يعملون، ومهما حدث في الأرض من الاستبداد فإن الله هو مالك الملك، أين فرعون وعاد؟ وأين ثمود؟ أين الأمم الخالية؟ وأين القرون السابقة؟ لما تجبر قوم نوح وعصوا أرسل الله عليهم الطوفان، ماء من السماء فانفتحت، وماء من الأرض فنبعت، فالتقى ماء السماء وماء الأرض على أمر قد قدر، فغرقوا أجمعين، هل يستطيع أحد اليوم أو بالأمس أو غداً أن يأتي بقوة تصمد أمام طوفان يعم الأرض كلها، أمام طوفان يصعد فوق الجبل ليُهلك من فوق الجبل؟ ولما عتى قوم هود عما أُمروا به، وكان هود يذكرهم ويقول: {وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ} (سورة الشعراء:130-131)، فأهلكهم الله سبحانه وتعالى، {وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاء صَدِيدٍ} (سورة إبراهيم:15-16)، ولما عتى قوم ثمود الذين جابوا الصخر بالواد، الذين كانوا يقطعون الصخر قطعاً من شدتهم وقوتهم، والذين كانوا يتخذون البيوت آمنين في الجبال فلا يستطيع أحد أن ينالهم بأذى، أهلكهم الله بالصيحة، وأرسل على أقوام ريحاً فقلعتهم من أراضيهم وجعلتهم بين الأرض والسماء حتى سُمع نباح كلابهم، ونهيق حميرهم، وأصوات أغنامهم، وصراخهم هم أنفسهم، ثم ضربهم الله بهذه الحجارة، ثم أهلكهم فأهبطهم في الأرض فقذفهم فيها، وجعل عاليها سافلها.

أيها المسلمون، لا بد أن نعلم أن قوة الله لا تصمد أمامها قوة أبداً مهما بلغت من الجبروت والتفجير فإن الله قال: {فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا} (سورة الفرقان:36)، وإن الله يترل الرعب في قلوب أعدائه فلا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً.

أيها المسلمون، إن الله مالك الملك يصرف الأمور، ويداول الأيام بين الناس، ولا ترى الله يعطي ملكه لأحد أبداً على مر السنين والعصور، فيبقى الملك في يد واحد من الخلق أبداً، وكل جبار سيموت، وكل ملك فإلى زوال، وكل دولة فإلى اضمحلال دائماً وأبداً، سنة الله في خلقه: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} (سورة الرحمن:26-27).

أيها المسلمون، هذه الحقائق التي غابت عن كثير من الناس أيام الأحداث ينبغي أن يعودوا فيتذكروها، وأن يعلموا أن كل شيء يجري في العالم فهو لحكمة، وبحكمة الحكيم الخبير العليم الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات والأرض، فإن رأيت الله رفع أقواماً فلحكمة، وإن رأيته وضع آخرين فلحكمة، وإن رأيته نصر قوماً فلحكمة، وإن رأيته هزم آخرين فلحكمة، فلحكمة يريد الله ابتلاء العباد، وينظر كيف تعملون.

أيها المسلمون، ينبغي عليكم إذن العمل، ومهما كان الإسلام في عز أو كان المسلمون في ذل فإن هذه الأعمال ستكتب، وترفع إلى الحسيب الذي لا يعزب عنه شيء من أعمال العباد يحصيها ثم يوفيهم إياها.

ومن أسمائه سبحانه الحفيظ الحافظ سبحانه وتعالى، والله عز وجل حافظ وحفيظ: {فَاللّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} (سورة يوسف:64)، {وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ} (سورة سبأ:21)، يحفظ السماوات والأرض وما فيهما فلا تزولا إلا إذا شاء، وتبقى مدة حتى يأذن بزوالها، {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} (سورة البقرة:255)، ما هي أهمية هذا الاسم في هذا الوقت؟

أيها المسلمون، عندما تحدث فاجعة أو مصيبة، أو ضربة أو انفجار، أو شيء من هذا القبيل فإن الناس يقولون: تُرى هل سيزل علينا شيء من الشظايا؟ سيقول الناس عندما يسمعون صوت انفجار في السماء: هل سيزل علينا في بيوتنا شيء؟ هل سيكسر زجاج البيوت شيء؟ هل سنصاب بجراح؟ هل سنهلك؟ ما حال الولد في سريره؟ إلى آخر القلق وأنواعه الذي يكون في النفوس، وهنا يبرز الإيمان بهذا الاسم العظيم "الحفيظ، الحافظ"، الحافظ الذي يحفظ عباده من المهالك، ويقيهم مصارع السوء، {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ} (سورة الرعد:11)، ملائكة موكلة بكل واحد لتحفظه من المصائب، فإذا نزل قضاء الله، وحمى الموت على امرئ تخلت المعقبات عنه، فوقع في الهلاك إذا شاء الله.

انظر كيف حفظ الله كتابه وبيته وعباده، حفظ الله كتابه فقال: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (سورة الحجر:9)، ومهما جرى على مر التاريخ من أنواع التحريف فلا يمكن أن يطال الكتاب العزيز شيئاً منه، ولا أن يتغير حرف من هذا القرآن، ولا يزال محفوظاً في الكتب وفي الصدور، وحفظ الله بيته –القبلة، الكعبة، البيت الحرام– على مر السنين، مع أنه جعله بواد غير زرع، وليس هناك شيء من الدنيا يشد الناس إلى البيت، لا يوجد زرع، ولا مال، ولكنه سبحانه وتعالى جعل في قلوبهم الرغبة إلى إتيانه، من أبعد الأماكن يأتونه بكل خضوع وتذلل، وأكبر جبار إذا أتى البيت يأتي ذليلاً مطأطئاً رأسه لا يستطيع أن يفعل شيئاً في البيت، ولو حاول فسينال ما نال أبرهة وأصحاب الفيل لما هجموا على البيت، فحول الله الفيل عن الاتجاه ذاك، فلم يمش بأصحابه، ثم أعقبهم الله بطير أبابيل –جماعات جماعات، أسراباً أسراباً– تقصفهم بالحجارة المنضودة من هذا الطين المتحجر، لا تخطئ واحداً منهم إلا أصابته حتى هلكوا عن آخرهم، وهلك بعضهم في طريق العودة، فصار أمراً يؤرخ به في التاريخ، فحفظ الله بيته فلم يمسَّ بسوء، والله عز وجل يحفظ العباد من الشرور والمهالك، تأمل الآن كم مرة من المرات كنت ستقع ضحية حادث سيارة؟ كم مرة من المرات أفلت بأعجوبة من حادث سيارة؟ كم؟ لو شئت أن تعدَّ ذلك لما استطعت، وهذا مثل واحد وأنت في سيارتك، وهذه الأمور التي تجري في الجسد من أنواع المخلوقات الدقيقة، كم مرة حُفظت من غزوها في جسدك، ودافعت عنك الدفاعات الموجودة في جسدك التي خلقها الله؟ فإذا جاء قضاء الله وقع الحادث، ووقع المرض، لكن كم مرة حفظت من الحوادث والأمراض، ثم جاء قضاء الله.

أيها المسلمون، ما هي الأسباب التي تحفظنا إذن ونحن في هذه الحرب؟ لا بد أن نعلم وأن نعرف وقد عرفنا أن الله هو الحفيظ، فما هي أسباب الحفظ؟ وكيف يحفظ الله عباده؟

قال تعالى: {فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ} (سورة النساء:34) فلأنهن صالحات {حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ} يعني: إذا غاب الزوج حفظنه، الصالحات حفظن الأزواج في غيابهم في العرض والمال والولد، فلما حفظن الغيب، لما غاب الزوج حفظن الأعراض والأموال والأولاد حفظهن الله، وأعانهن وسددهن، فقال: {فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ} (سورة النساء:34)، فحفظهن الله، فحفظ العبد لأوامر ربه، ودين إلهه من أسباب حفظ الله له، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس وهو يوصيه: ((احفظ الله يحفظك))، ((يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك)) [رواه الترمذي (2516)]، فإذا قلت لي: ما هي الأسباب التي نحفظ أنفسنا بها من الصواريخ والقنابل، والقذائف والشظايا، والحرق والهدم، ...إلى آخره؟ فأقول: احفظ الله يحفظك، فكم من الناس اليوم منتبهين إلى هذه المسألة؟ وكم منهم يقفون عند حدود الله، ويحفظون حقوق الله، ولا يضيعون الواجبات، ولا يرتكبون المحرمات، وإذا ارتكبوا شيئاً تابوا؟ كم منهم عمل هذا الأمر حتى يستحق حفظ الله؟ ومع ذلك ترى الله يدافع عن كثيرين، ويحفظ الكثيرين منة منه ورحمة، والله إن الله يبعد من أسباب الهدم عن رؤوس كثير من الخلائق وهم لا يستحقون الحفظ، منة منه ورحمة، ولعلهم يرجعون، لعلهم يفيئون.

## العودة إلى الله والعمل للدين:

إن هذه الأحداث التي جمدت بعض الناس يحتاج جليدهم إلى إذابة، ولا أحسن من الإقبال على الله، ومناداته، ومناشدته، والتضرع إليه.

أيها الناس، نسمع كثيراً في بعض المجالس يقولون: ماذا بقي لنا من الأمر؟ ولا حول لنا ولا قوة، نحن نجلس الآن وننتظر فقط، من الذي قال لك: اجلس وانتظر؟ ومن الذي قال لك: إنه ليس لك دور في هذه الأيام؟ كيف يكون المسلم سلبياً؟ كيف يكون المسلم متجمداً؟ كيف يكون المسلم مضطرباً محتاراً متشوشاً لا يستطيع أن يعمل شيئاً؟

أيها الناس، ليس هذا بخلق المسلم أبداً، ولم يخلقنا الله ويهدينا لهذا الدين لنكون سلبيين، ونكون متقاعسين كسالى يعترينا الجمود، صحيح أن الأحداث ضخمة وجسيمة، وأن الأمور الحادثة لم نعهد مثلها من قبل أبداً، ولكن هذا لا يعني أبداً أن نتقاعس ونتكاسل، ونترك الأمور، أين صلاة الجماعة في المساجد، وصلاة الفجر بالذات؟ أين مرافقة الأخيار والانتفاع بمجالس الصالحين؟ أين حلق العلم والفقه التي تعلمك ما ينفعك في دنياك وآخرتك؟ أين قيام الليل، وصوم النفل، وقراءة القرآن؟ أين الدعوة إلى الله؟ أين الصدقات؟ أين الأمر بالمعروف؟ أين إنكار المنكر؟ أين صلة الرحم؟ أين زيارة الجيران؟ أين زيارة أهل الفضل؟ أين زيارة الإخوة في الله؟ أين التفكير فيما يصلح الأمة؟

أيها المسلمون، أين ذكر الله؟ إن أبواب الخير كثيرة، فلا يصلح أن نتجمد مطلقاً بفعل هذه الأحداث والظروف، وأن نعكف فقط على الأخبار والمحطات الخارجية بالبث المباشر فيها صور النساء الفاتنات، وأصوات المعازف، ونلجأ إليها عند حدوث خطب، أو صفارة إنذار، ونترك اللجوء إلى الله.

أيها المسلمون، إذا كان البعض قد حصل عنده سلبية، أو انهيار وإحباط قاتل، فليتذكر قول الصحابي للصحابة لما أشيع أن رسول الله قد قتل، قال لهم: قوموا، موتوا على ما مات عليه، افعلوا شيئاً جاهدوا فيما بقي لكم من الرمق الأخير حتى تلحقوا به على الأقل.

فإذن لا يصلح مطلقاً أن نكون متقاعسين، هذا دين حركة وبركة، وليس دين كسل ولا تقاعس، افعل عكس ما يشعر به الناس، إن أردت النصيحة افعل عكس ما يشعر به الناس، فإن شعروا بالإحباط اشعر أنت بالأمل، وتذكر المبشرات، إذا شعروا بالتشوش لا بد أن تشعر بوضوح الرؤية، إذا شعروا بالبرود والتكاسل والنوم أنت تشعر باليقظة والنشاط والحركة، كيف؟.

إذا شعروا بالإحباط أنت تتأمل فيما حصل من عز الماضي، وأمل المستقبل، فينتعش الأمل في نفسك.

كنا جبالاً في الجبال وربما *** سرنا على موج البحار بحاراً

كانت الغمامة تأتي على الخليفة، فيقول: اذهبي أين شئت؛ فسوف يأتيني خراجك، فتوحاتنا وصلت إلى أقاصي الأرض، إن المسلمين في أقاصي الله هم ثمار للفتوحات الإسلامية السابقة، المسلمون في آخر الدنيا، في الجزر النائية، وفي ألبانيا وغيرها يشهدون أن الفاتحين الأول والمتأخرين من هذه الأمة أوصلوا هذا الدين، ألم تحاصر جيوشكم لينينجراد في عام ألف وسبعمائة وسبعة؟ ألم يصل المسلمون إلى فينا في عام ألف وخمسمائة وتسعة وعشرين للميلاد؟ ولولا أن قدر الله أن يستشهد كثير من المسلمين في معركة بلاط الشهداء لاكتسحوا أوروبا، ولولا أن يقدر الله أن يقف المد الإسلامية في معركة بواتيل لفتحوا روما، ولكن الله أخر فتح روما لأجل، وكتاب عنده في علمه سبق؛ لأنه قال لما سئل: "أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية، أو رومية –روما–؟ فقال: ((مدينة هرقل)) [رواه أحمد (6607)] أي: القسطنطينية تفتح أولاً، فهناك مبشرات كثيرة، ونحن نستلهم من الآيات والأحاديث، والمبشرات بنصرة الديون أمور عظيمة.

أيها الإخوة، ما هو النظام المرشح لأن يعم العدل في الأرض بواسطته؟ وما هو النظام المرشح لأن ينهي طغيان الأغنياء، وأن يغني الفقراء؟ ما هو النظام المرشح لأن يرفع الظلم عن الأرض؟ ما هو النظام المرشح لأن تحصل السعادة الاجتماعية في الأسر والمجتمعات بواسطته؟ ما هو النظام المرشح لأن تُحكم الأرض بالشريعة والمعروف، ويزال المنكر؟ وما هو النظام المرشح لإقامة العلاقات بين البشر بالأخوة الإسلامية والموازين الشرعية؟ إنه النظام الإسلامي، لقد أفلست النظم من بين أيدينا ومن خلفنا، وستفلس بقية النظم ولن يبقى إلا نظام الإسلام، وسبحان الله! كأن الله جعل البشر في هذا الوقت أيضاً يجربون كل الأمور التائهة والضالة لكي تصل القناعة بالتجربة أن الإسلام هو الحل، فيرجع الناس إلى الدين، وهاهم بدؤوا يرجعون.

ولا بد أن تشعر بالنشاط والحركة إذا شعر الناس بالبرود؛ لأنك تعلم بأن الله يقول: {وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} (سورة محمد:38)، وهذا الكلام في الموضوع طويل، ولكن الوقت قد ضاق، لكن هذا لب الموضوع الآن: أن نتحرك في جميع أبواب الخير، وألا تلهينا الأحداث عن عمل الطاعات أبداً أيها المسلمون.

وأذكركم بما ورد في السنة في صيام شعبان، عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قلت: "يا رسول الله، لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال: ((ذاك شهر تغفل الناس فيه عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم)) [رواه النسائي (2357)]، وعن أنس قال: "كان أحب الصوم إليه –صلى الله عليه وسلم– في شعبان" [رواه أحمد (12990)]، وقالت عائشة في الصحيحين: "وما رأيته في شهر أكثر صياماً منه في شعبان" [رواه مسلم (1156)]، فكان يصوم معظمه صلى الله عليه وسلم.

اللهم إنا نسألك أن تنعم علينا بالأمن والإيمان، والثبات والإسلام، اللهم إنا نسألك أن تحفظنا بما حفظت به عبادك الصالحين، ونسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وعبادك الصالحون، ونستعيذ بك من شر ما استعاذ منه عبدك ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم وعبادك الصالحون.

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشداً يعز فيه أولياؤك، ويذل فيه أعداؤك، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر.